

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ

فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: 105]

❖ مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

سبب بطاين
السَّغِي للوسوم
بالكفر، بما بدر
من إنكارهم
آيات الله ولقائه

إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، بَيَّنَّ صُنْعَهُمْ وَبَيَّنَّ لَهُمُ السَّبَبَ فِي بَطْلَانِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ (1).

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَلِقَائِهِ﴾: اللِّقَاءُ: مصادفةُ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ ومقابلتهُ له معًا، وقد يُعَبَّرُ به عن كلِّ واحدٍ منهما، ويقالُ ذلك في الإدراكِ بالحسِّ والبصرِ والبصيرةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ [آل عمران: 143]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62]، وَمُلاقاةُ اللَّهِ ﷻ عبارةٌ عَنِ الْقِيَامَةِ، وَعَنِ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ، قَالَ جَلَّ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ مُلْقَوُهُ﴾ [البقرة: 223]، وَيُقَالُ: لَقِيَ فُلَانٌ خَيْرًا وَشَرًّا، وَتَقُولُ: لَقِيتُهُ بِكَذَا، إِذَا اسْتَقْبَلْتُهُ بِهِ (2).

(2) ﴿فَحَبِطَتْ﴾: أَصْلُ (حَبِطَ) فَسَادُ مَا تَجَمَّعَ فِي الْجَوْفِ بِكَثَافَةٍ؛ لِعَدَمِ تَصْرِفِهِ (3)، وَالْحَبِطُ أَثَارُ الْجُرْحِ أَوْ السَّيَاطِ بِالْبَدَنِ، وَيُقَالُ: حَبِطَ الْجُرْحُ، إِذَا بَقِيَتْ لَهُ أَثَارٌ بَعْدَ الْبُرْءِ، وَحَبِطَ بَطْنُهُ، إِذَا انْتَفَخَ، وَحَبِطَتِ الدَّابَّةُ، إِذَا أَكَلَتْ أَكْلًا انْتَفَخَ بَطْنُهَا مِنْهُ فَمَاتَتْ، وَمِنْ الْمَجَازِ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 148، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5 / 249، والشوكاني، فتح القدير: 3 / 372.

(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (لقي).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حبط).

حَبِطَ عَمَلُهُ، أي: بطل⁽¹⁾، كما في قوله تعالى: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، أي: فبطلت⁽²⁾، وأصله مِنْ قَوْلِهِمْ: حَبِطَتِ الدَّابَّةُ⁽³⁾.

(3) ﴿فَلَا تُقِيمُ﴾: (قوم) أصلان: أحدهما يدلُّ على جماعةٍ ناسٍ، وهو الْقَوْمُ⁽⁴⁾، والآخر يدلُّ على عَزْمٍ أو انتصابٍ⁽⁵⁾، ومنه قَوْلُهُمْ: قَامَ قِيَامًا، والقَوْمَةُ: المَرَّةُ الواحدة، إذا انتصب⁽⁶⁾، وَمِنَ الْقِيَامِ الَّذِي هُوَ الْعَزْمُ قَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [الثَّانِي: 6]، والقِيَامُ والقَوَامُ: اسْمٌ لما يقومُ به الشَّيْءُ، أي: يَنْبُتُ، والاستقامةُ تقالُ في الطَّرِيقِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى خَطِّ مُسْتَوٍ، والإقامةُ في المكانِ: الثَّباتُ، ويُعَبَّرُ بالإقامةِ عَنِ الدَّوامِ، نحو: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الثَّانِي: 37]⁽⁷⁾.

(4) ﴿وَزَنَّا﴾: المعنى المحوريُّ لـ (وزن) التَّعْدِيلُ والاستقامةُ، يقالُ: قَامَ مِيزَانُ النَّهَارِ، إذا انتصفَ النَّهَارُ، وهذا يوازنُ ذلكَ، أي: هو مُحَاذِيهِ، ووزينُ الرَّأْيِ: مُعَدِّلُهُ⁽⁸⁾، وتوازنَا: تساوينا⁽⁹⁾، والوَزْنُ: معرفةُ قَدْرِ الشَّيْءِ، يقالُ: وزنته وزناً وزينةً، وقوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإِسْرَاءُ: 35] إشارةٌ إلى مراعاةِ العدلِ في جميعِ ما يتحرَّاهُ الإنسانُ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ⁽¹⁰⁾، والمِيزَانُ: الآلةُ الَّتِي توزَنُ بها الأشياءُ، ويقالُ: هو راجعُ الوَزْنِ، أي: كاملُ العقلِ والرَّأْيِ⁽¹¹⁾.

❖ الْمَغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنِ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، ويقولُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا صِفَتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِحُجَجِ

(1) الزبيدي، تاج العروس: (حبط).

(2) الجوهري، الصحاح: (حبط)، وابن عطية، المحرر الوجيز: 545/3.

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (حبط).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (قوم).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).

(7) الراغب، المفردات: (قوم).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وزن).

(9) الزبيدي، تاج العروس: (وزن).

(10) الراغب، المفردات: (وزن).

(11) الزبيدي، تاج العروس: (وزن).

مدار ثقل
موازن الأعمال
يوم القيامة
على الأعمال
الصالحة

رَبِّهِمْ وَأَدْلَتِ الْعَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ، وَأَنكَرُوا الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ، فَبَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا ثَوَابٌ يَنْفَعُ أَصْحَابَهَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ لَهُمْ مِنْهَا عَذَابٌ وَخِزْيٌ طَوِيلٌ، فَلَا نَجْعَلُ لَهُمْ وَزْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْمَوَازِينَ إِنَّمَا تَنْتَقِلُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَيْسَ لَهُؤُلَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ⁽¹⁾.

وترشد الآية الكريمة إلى أن عدم إقامة الوزن لهؤلاء الكافرين مفرغ على بطلان أعمالهم؛ لأنهم بحبط أعمالهم صاروا محقرين، لا شيء لهم من الصالحات، ولا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، وترشد إلى أنه لا قيمة ولا ثقل ولا وزن لعمل لا يوافق رضا الله تعالى وقبوله له، كما لا وزن عند الله تعالى لصاحبه⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة فصل الآية عما قبلها:

قَوْلُهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾، كَلَامٌ مُسْتَأَنَفٌ مَسْوقٌ لِتَكْمِيلِ تَعْرِيفِ الْأَخْسَرِينَ، وَتَبْيِينَ سَبَبِ خُسْرَانِهِمْ وَضَلَالِ سَعْيِهِمْ، وَتَعْيِينِهِمْ بِحَيْثُ يَنْطَبِقُ التَّعْرِيفُ عَلَى الْمَخَاطَبِينَ⁽³⁾، وَبَنَاءً عَلَى ذَلِكَ تَكُونُ الْجُمْلَةُ جَوَابًا عَنْ سُؤَالِ تَقْدِيرِهِ: مَا سَبَبُ خُسْرَانِهِمْ وَضَلَالِ سَعْيِهِمْ؟ فَتَفْصَلُ عَنْ سَابِقَتِهَا كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ، وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بَدَلٌ مِنَ الْأَخْسَرِينَ؛ فَتَكُونُ جُمْلَةُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا جَوَابًا عَنِ السُّؤَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾⁽⁴⁾.

الاستئناف
التعليقي بيان
الجواب عن
السؤال قبلها

(1) ابن جرير، جامع البيان: 129/18، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 202/5.
(2) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص: 488، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 48/16، والجزائري، أيسر التفاسير: 289/3.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 249/5.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 47/16.

سر التعبير باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾:

جاء باسم الإشارة في قوله ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾؛ لتمييزهم أكمل تمييز؛ لئلا يكتسبوا بغيرهم⁽¹⁾، وللتنبية على أن المشار إليهم أحرى بما يرد بعد اسم الإشارة من حكم بسبب ما أجري عليهم من الأوصاف⁽²⁾، وللإشارة إلى أنهم لا يستحقون القرب، بل هم بعداء بغضاء⁽³⁾.

تمييزهم
وتبعيدهم
وبيان علّة
الحكم المجري
عليهم

الغرض من التعبير بالاسم الموصول:

عبر بالاسم الموصول في قوله ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾؛ للإيماء إلى وجه بناء الحكم المتفرع عليه بعد ذلك في قوله ﷺ: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، أي: إن كفرهم بآيات ربهم ولقائه هو سبب حبط أعمالهم، ولذمهم بما في حيز الصلة من الأوصاف.

وجه التعبير بصيغة الماضي في ﴿كَفَرُوا﴾:

بيان سبب حبط
أعمالهم،
وضلال سعيهم

ولما كان كفر هؤلاء الكافرين بآيات ربهم ولقائه أمراً متحققاً ثابتاً لهم - جاء بصيغة الماضي في قول الله جلّ شأنه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾، أي: أوقعوا السّتر والتغطية لما من حقه أن يظهر ويُسهر⁽⁴⁾.

الإشارة إلى
تحقق وقوع كفر
الكفرة

دلالة جمع الآيات في الآية الكريمة:

جمع الآيات في قوله علت كلمته: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾؛ لأن الآيات تطلق ثلاثة إطلاقات، وقد كفروا بها جميعاً؛ كفروا بآيات الكون الدالة على قدرة الله، فلم ينظروا فيها، ولم يعتبروا بها، وكفروا بآيات القرآن والبلاغ من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وكفروا بآيات المعجزات التي أنزلها الله لتأييد

الإشارة إلى
كفرهم بجميع
أنواع آيات الله

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 249 / 5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 47 / 16.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9 / 4596، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 47 / 16.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 148.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 148.

الرُّسُلِ، فلم يُصدِّقوها؛ فلنفظ الآيات هنا عامٌّ في كلِّ هذه الأنواع⁽¹⁾، وفي ذلك مزيدٌ توبيخٌ لهم على تعاميتهم عن رؤية الحقِّ، وتَصَامُهم عن سماعه.

سرُّ إضافة الآيات إلى لفظِ الرَّبِّ:

المراد بالآيات في قولِ الله تعالى ذِكْرُهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾: دلائله سبحانه الداعية إلى التَّوْحِيدِ عقلاً ونقلاً، والتَّعَرُّضُ لعنوانِ الرُّبُوبِيَّةِ في ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾؛ لزيادةِ تَقْبِيحِ حالهم في الكفرِ المذكور⁽²⁾؛ لأنَّه كَفَرُ بآياتِ الخالقِ الرَّازِقِ الَّذِي لَا تَنْقُطُ عَنِ الْخَلْقِ نِعْمُهُ وَصِلَاتُهُ مَعَ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، ويزيدُ هذا النَّقْبِيحَ مبالغةً أيضاً إضافةَ لفظِ الرَّبِّ إلى ضميرهم في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿رَبِّهِمْ﴾؛ فَإِنَّ حَقَّ الرَّبِّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَهُ وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، لَا أَنْ يُعْرِضَ عَنْ آيَاتِهِ ودلائلِ توحيدِهِ، فيكونُ في الكلامِ توبيخٌ لهم أيضاً.

سر التقييد بقوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ دون (بآياتنا):

إِنْ كَانَتْ نَوْنُ الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَتَبَارَكَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ راجعةً إلى ذاتِ الله سبحانه فـ ﴿رَبِّهِمْ﴾ في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ إظهارٌ في مقامِ الإِضْمَارِ، ومقتضى الظَّاهِرِ أَنْ يَقَالَ: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا)، وَإِنْ كَانَتْ النُّونُ راجعةً إلى الرَّسُولِ ﷺ وإلى الله تعالى أو إلى الرَّسُولِ والمسلمينَ - فالكلامُ على مُقْتَضَى الظَّاهِرِ⁽³⁾.

دلالة العطف بالواو في قوله: ﴿وَلِقَائِهِ﴾:

تدلُّ واوُ العطفِ في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ على أَنَّ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قد

زيادة تقبيح
حال الكفرة في
كفرهم

احتمال العبارة
أن تكون على
مقتضى الظاهر
وعلى خلافه

بيان جمع
الكفار بين الكفر
بالآيات والكفر
بالبعث

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 9003.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 249، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 368.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 47.

جَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى تَنَوُّعِهَا، وَبَيْنَ الْكُفْرِ بِالْبَعْثِ
وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ زِيَادَةٌ فِي تَقْبِيحِ
حَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ بَكُفْرِهِمْ بِالْبَعْثِ صَارُوا لَا يَخَافُونَ، فَلَا يَرُدُّهُمْ شَيْءٌ
عَنْ أَهْوَائِهِمْ⁽¹⁾.

بلغة التعبير باللقاء في السياق:

اللقاء في قوله ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾
كناية عن البعث والحساب، أو استعارة تمثيلية؛ بَأَن شُبَّهَ عَدَمُ الْحِسَابِ
وَالْعِقَابِ بِالْغَيْبَةِ عَنِ الْمَوْقِفِ فِي الدُّنْيَا مِنْهُمْ، وَشُبَّهَ حُضُورُهُمْ أَحْيَاءً
لِلْحِسَابِ وَالْعِقَابِ بِلِقَاءِ الشَّيْءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ مِزَاجٌ
مُقَدَّرٌ، أَي: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ عَذَابِهِ⁽²⁾.

معنى الفاء في جملة: ﴿فَحَبِطَتْ﴾:

تدلُّ الفاءُ في قوله ﷺ: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ على السببية، أَي: أَنَّ
حُبُوطَ أَعْمَالِهِمْ نَاتِجٌ عَنِ الْكُفْرِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾⁽³⁾، أَي: فَحَبِطَتْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا مِمَّا يَظُنُّونَهُ حَسَنًا، وَهُوَ فِي
الْحَقِيقَةِ خُسْرَانٌ وَضَلَالٌ⁽⁴⁾؛ لِأَنَّهُ بُنِيَ عَلَى أَسَاسٍ بَاطِلٍ.

دلالة التعبير بصيغة الماضي ﴿فَحَبِطَتْ﴾:

أَوْثَرَتْ صِغَةُ الْمَاضِي فِي قَوْلِ اللَّهِ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ: ﴿فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ﴾، وَلَمْ يُقَلَّ مِثْلًا: (فَسْتَحَبَطُ أَعْمَالَهُمْ)؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ
الْحُكْمَ بِحُبُوطِ أَعْمَالِ الْكَافِرِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ قَدْ
تَحَقَّقَ وَمَضَى فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَقْدِيرِهِ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ
لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

اللقاء تنويه
بالبعث
والحساب،
وتأكيد للمصير
بلا ارتياب

تسبب حبوط
العمل عن الكفر
للمذكور

تحقق الحكم
بحبوط أعمال
الكفرة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 148 / 12.

(2) اطفيش، تفسير اطفيش: 446 / 5.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 249 / 5، والقونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 176 / 12.

(4) الشوكاني، فتح القدير: 373 / 3.

سرُّ التعبير بصيغة الجمع في ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾:

شُمُولُ الحُبُوطِ
لكلِّ عملٍ هو
منوطٌ به

عُبرَ بصيغة الجمع في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، ولم يُقَلَّ: (فَحَبِطَ عَمَلُهُمْ)؛ لما يُفيدُه التعبيرُ بصيغة الجمع من شُمُولِ الحُبُوطِ لأعمالهم على تنوعها واختلافها؛ فمنهم مَنْ كانَ يَتَقَرَّبُ للأصنام بالذَّبْحِ عندها وإطعام الفقراء؛ ظَنًّا منه أنَّ ذلك يُقَرِّبُهُ إلى الله سبحانه، ومنهم مَنْ كانَ يعملُ أعمالاً صالحةً مِنْ كِفَالَةِ يَتِيمٍ أو إعانةٍ مُحتاجٍ، ومنهم مَنْ كانَ يعملُ غيرَ ذلك، وكلُّ ذلك لا يَنْفَعُ يَوْمَ القيامةِ؛ إذ لا يَنْفَعُ يَوْمئِذٍ إلا ما كانَ أساسُهُ الإيمانَ والتَّوْحِيدَ، وأمَّا ما عداهُ فهو كسرَابٍ بَقِيعةٍ يحسبُهُ الظَّمانُ ماءً.

نكتة التعبير بالأعمال دون غيرها:

بيان التَّجاوُبِ
اللفظيِّ
والمعنويِّ بين
الآياتِ

اختيرَ لفظُ الأعمالِ دونَ غيره في قوله تعالى ذِكْرُهُ: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، ولم يُقَلَّ مثلاً: (فَحَبِطَتْ أفعالُهُم)، أو (فَحَبِطَتْ صنائعُهُم)؛ لما في لفظِ الأعمالِ مِنَ التَّنَاسُبِ معَ قوله جلَّ وعزَّ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِي افْتَتَحَ به الحديثُ عنِ الأخْسَرِينَ أعمالاً وصفاتهم وأحوالهم وعاقبة أمرهم، فيكونُ بين الآياتِ تجاوُبٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ.

معنى الفاء في جملة ﴿فَلَا تُقِيمُ﴾:

من طغا كفره في
الأعمال فلا وزن
له عند الله في
الآل

تدلُّ الفاءُ في قولِ الله ﷻ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ على السببية، أي: أنَّ عدمَ وجودِ اعتبارٍ لهم يومَ القيامةِ مُسَبَّبٌ عَمَّا قبله، وهو قوله علَّتْ كلمته: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾، وأنَّه مِنْ عواقِبِهِ، أي: فتسبَّبَ عن حُبُوطِ الأعمالِ أنَّنا لا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القيامةِ وزناً؛ لأنَّ مدارَهُ الأعمالُ الصَّالحةُ، وقد حَبِطَتْ أعمالُهُم بالمرَّةِ⁽¹⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 148/12، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 250/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 48/16.

دلالة التعبير بالمضارع النفي في ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾:

عُبرَ في قوله جَلَّ وتبارك: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ بصيغة المضارع المنفي؛ لأنَّ المضارع يُفيد التَّجَدُّدَ والاستمرار في الفعل، وإذا دخل عليه النفي أفاد استمرار انتفاء الفعل، والمعنى هنا: أنَّ عدم إقامة الوزن لهم أمرٌ مُستمرُّ مُتجدِّدٌ، قد حكم الله بأنَّه لا تغييرَ له، ولا رجوعَ عنه.

استمرارُ نفي
إقامة الوزنِ
لَهُمْ، بيان
لهوانهم عند
خالقهم

دلالة إسناد الفعل إلى الضمير الدال على التعظيم في ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾:

إِنَّ كَانَتْ نونُ المتكلم في قوله جَلَّ وتبارك: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ راجعةً إلى ذاتِ الله سبحانه؛ فالنونُ في ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ جاريةٌ على مقتضى الظاهر، وإنَّ كَانَتْ النونُ راجعةً إلى الرسول ﷺ وإلى الله تعالى، أو إلى الرسول ﷺ والمسلمين - فالنونُ في ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ التفتُّ عن قوله: ﴿بَيَّاتٍ رَبَّهُمْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال: (فلا يُقيمُ لَهُمْ) ⁽¹⁾، وأيًا كانَ فالتعبيرُ بالنون لإفادة التعظيم؛ لأنَّ عدم إقامة الوزن لهم أمرٌ عظيمٌ صادرٌ عن ذي العظمة والكبرياء المانعين من اعتراض أحدٍ عليه أو شفاعاة أحدٍ عنده بغيرِ إذنه ⁽²⁾، ومقامُ القيامة مقامٌ تخويفٍ وتهويلٍ، والمُلْكُ فيه لله الواحدِ القهارِ، فيناسبُه إيرادُ الألفاظِ الدالة على التَّفْخِيمِ والتَّهْوِيلِ.

الكفر منقصة
وهوان عند
الرَّحْمَنِ ورسوله
وعبادَه

علة ذكر يوم القيامة في السياق:

التَّعْرِضُ لذكر يومِ القيامة في قولِ الله ﷻ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾؛ لإثارة الرُّوعِ والمَهَابَةِ في النُّفُوسِ؛ لأنَّ هذا اليومَ يومٌ عظيمٌ هائلٌ كثيرُ الأهوالِ والأفْزَاعِ، فذكرُه يَبِثُّ الخوفَ والهَلَعَ في نفسِ السَّامِعِ، ويناسبُ مقامَ التَّهْدِيدِ والوعيدِ وبيانِ سوءِ عاقبةِ مَنْ كَفَرَ بالله ﷻ مالِكِ يومِ الدِّينِ.

إدخالُ الرُّوعِ
والمَهَابَةِ والارتباغِ
بذكرِ يومِ
الأهوالِ والأفْزَاعِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 47/ 16.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 148/ 12.

نكتة تقديم ﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ على ﴿وَرَنَّا﴾:

أثر البيان في
تعجيل المساءة
ومراعاة الفاصلة

قَدَّمَ ﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ على ﴿وَرَنَّا﴾ في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنَّا﴾؛ لإفادة التقديم تعجيل المساءة ببيان أن عدم الإقامة أمر متعلق بهم، وإفادة الاختصاص ببيان أنه أمر خاص بهم، لا يتجاوزهم إلى غيرهم، ولأن في تأخير ﴿وَرَنَّا﴾ مراعاة لملاءمة فاصلة الآية لما قبلها وما بعدها.

الغرض من التعبير بعدم إقامة الوزن:

انتفاء حسنات
الكفرة أكبر هوان
عند ربّ الأكوان

قوله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنَّا﴾ يحتمل أن يراد به أنه لا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار لا محالة⁽¹⁾، ويحتمل أن يراد به المجاز⁽²⁾؛ لأن نفي إقامة الوزن يستعمل في عدم الاعتداد بالشيء، وفي حقارته؛ لأن الناس يزنون الأشياء المتنافس في مقاديرها، وأما الشيء التافه فلا يوزن، فشبهوا بالمحقرات على طريقة المكنية، وأثبت لهم عدم الوزن تخيلاً⁽³⁾.

ويحتمل على الوجه الثاني أن يكون في الكلام كناية، بجعل نفي إقامة الوزن لهم كناية عن تحقيرهم⁽⁴⁾.

علة تنكير لفظ ﴿وَرَنَّا﴾:

التنكير مبين عن
غاية الهوان في
التعبير

لما كان المقام لبيان حبوط أعمال المشركين، وأنها لا تنفعهم يوم القيامة - جيء بالوزن منكرًا في قوله تبارك شأنه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنَّا﴾؛ لإفادة التحقير والتقليل، أي: فلا نُقِيمُ لَهُمْ وَرَنًا حقيرًا قليلًا فضلًا عما فوقه.

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/ 545، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 231.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 3/ 545، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 231.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 48.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 12/ 176.

❖ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإِحْبَاطُ والتَّكْفِيرُ:

الفرقُ بينَ الإِحْبَاطِ والتَّكْفِيرِ: أنَّ الإِحْبَاطَ هو إِبْطَالُ الحِسنَاتِ
بالسَّيِّئَاتِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [هود: 16]،
والتَّكْفِيرُ: إِبْطَالُ السَّيِّئَاتِ بالحِسنَاتِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿كَفَّرَ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [محمد: 2]⁽¹⁾.

الإِحْبَاطُ إِبْطَالُ
الحِسنَاتِ
بالسَّيِّئَاتِ،
والتَّكْفِيرُ بعكسه

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 21.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريم الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»